تجربة تودوروف

مقولات الحكي عند تودوروف:

1-الصيغة

لقد استخدم تودروف مقولة الصيغة في مقولات الحكي. معتمدا على ما جاء به "جنيت" من إغناء وإثراء لمقومات الخطاب الحكائي ضمن كتابه "خطاب الحكاية" ويعمق في ذلك حين يسوق مثالا في روايته " التربية العاطفية": مثال (ودَلَفوا إلى شارع كومارتان عندما انفجر خلفهم فجأة صوت شبيه بقعقعة قطعة ضخمة من الحرير تتمزق، كانت تلك مذبحة شارع الكابوسين) ، مؤكدا أن هاته الجملة ضمن صيغة العرض التي نستشفها عن طريق الأسلوب المباشر أولا وعن طريق التمييز والتأمل ثانيا وهما معا من أقوال الراوي، لكنهما لا يلجان مجال صيغة السرد لأنهما يعجزان عن إبراز حقيقة خارجة عن الخطاب ومن ثم يكشف عن صورة الراوي وليس صور الشخصيات. وهنا يمكننا أن نتساءل أين يتجلى معيار التمييز بين السرد والعرض؟ وهل هو السارد أو الشخصية بقدر وجودهم ضمن العلاقة الرابطة بين الذات المتلفظة وموضوع تلفظها؟ أي بين الذاتية والموضوعية كما يراها " بينفيست" و"تودروف". يقول تودروف في هذا المضمار: " يجب أن نتخلى إذن عن مطابقتنا الأولى للسرد بكلام السارد وللعرض بكلام الشخصيات للبحث عن أساس لذلك أكثر عمقا.. وسنجد هذا الأساس في التعارض بين المظاهر الذاتية والموضوعية في اللغة"معتبرا ذلك التمييز القائم بين السرد والعرض ليس شافيا، إذ لا مناص من العودة إلى التمييز بين الذاتي والموضوعي في اللغة، فإذا كان الكلام هو في الآن نفسه ملفوظا وتلفظا (énoncé-énonciation)، فإنه في هذه الحالة يرتبط الملفوظ بذات الملفوظ ويصير موضوعيا، في حين يرتبط التلفظ بذات التلفظ ويبقى ذاتيا، أي أن الكلام يتوزع بين الذات المتكلمة وموضوع الكلام.

وهكذا يمكننا الحديث عن صيغة موضوعية وأخرى ذاتية، فإذا هيمنت ذاتية المتكلم على الموضوع صرنا أمام خطاب ذاتي محض، وإن قل تدخل المتكلم نجد أنفسنا أمام خطاب موضوعي" فالذي يتحكم في ذلك هو السياق".

وبهذا اللاتوازن الحاصل بين الخطابين، يمكن القول بأن ربط الذاتية بالأسلوب المباشر (العرض) والموضوعية بالأسلوب غير المباشر (وهو السرد) أمر متجاوز لما يمكن أن يحدث بينهما من تماس تقريبي. يقول تودورف: "فكلام السارد ينتمي عموما إلى محتوى التلفظ الإخباري... لكن حين يقرنه بتأمل عام، فإن ذات التلفظ تصبح ظاهرة، وبذلك يقترب السارد من الشخصيات" ، وبهذا أصبحنا أمام محاكاة لا أمام سرد رغم أن مصدر الكلام غير الشخصية الروائية. كما أكد أرسطو معتبرا الصيغتين معا أسلوبين من أساليب المحاكاة، تقوم المباشرة على ما أسماه " هنري جيمس" بالعرض وغير المباشرة بالحكي.

2- الصيغة عند جينيت :

في كتابه "حدود الحكي" يحدثنا في فصل منه، عن ثنائية القصة والخطاب، مبرزا من خلال صيغتي الخطاب (السرد والعرض) الفروق بين الحكي والعرض المشهدي.

ينطلق جنيت من تحديد ثلاث مكونات للخطاب الروائي، وهي الزمن والصيغة ثم الصوت والذي يهمنا هو حديثه عن مقولة الصيغة، فيبين كونها تنطبق بشكل بديهي على مدة الخطاب السردي، شأنها في ذلك شأن مقولة الزمن النحوية، يقول: "مادامت وظيفة الحكاية ليست إصدار أمر أو التعبير عن ثمن أو ذكر شرط وإنما فقط قص قصة، وبالتالي "نقل" وقائع (واقعية أو خيالية)، فإن الأساسي على مستوى الخطاب الحكائي ليس هناك فرق بين الإثبات والأمر والتمني ولكن في درجة تغيير هذه الصيغ، واختلافها المعبر عنها بالتنويعات الصيغية"، وهذه الوظيفة نفسها أثارها "ليتري" في تحديده للمعنى النحوي لمادة الصيغة، حيث يراها "إسما يطلق على أشكال الفعل المختلفة التي تستعمل لتأكيد الأمر المقصود وللتعبير

عن وجهات النظر المختلفة التي ينظر منها إلى الوجود أو العمل"، وهكذا فالحكي قادر على أن يروي كثيرا أو قليلا مما يريد حكيه أو حسب وجهة النظر هذه أو تلك، وهذا ما يمثل القدرة على الاستعمالات المختلفة للصيغة وأشكال ممارستها هي مبتغانا الأول عند الحديث عن الصيغة، كما يمكن للمحكي اقتناء السبل لضبط الأخبار حسب مؤهلاته المعرفية عند هذا الطرف أو ذاك في العمل، فالمسافة والمنظور هما المشكلان للقطب الروحي لهذا التنظيم الخبري السردي" المتمثل في الصيغة.

ويميز بذلك بين خطابين: خطاب الأحداث(السرد) وخطاب الأقوال (العرض).

ففي خطاب الأحداث يشير إلى مقطع سردي من هوميروس لأفلاطون: " لما سمع الشيخ تلك التهديدات خاف فمضى صامتا، و لكنه ما إن خرج من المعسكر حتى رفع تضرعات حارة إلى أفولون" فتتضح لنا الطريقة التي تظهر بها أقوال الشخصيات، ليحضر بكثافة "هو" كضمير للراوي. وقد لاحظ جنيت بأن هذا لا يضمر المحاكاة أو يحضرها، لأنها مفهومة بارتباطها الوثيق بالعصور والتاريخ" فكمية الأخبار القصوى ترتبط بسرعة سردية دنيا". أما على مستوى خطاب الأقوال فسنرى أنه رغم اعتبار المحاكاة اللغوية للأحداث غير اللغوية وهما وتخيلا، فإن الأمر يختلف بالنسبة لمحكي الأقوال، حيث نخضع أنفسنا لهذه المحاكاة المطلقة، وهنا تكمن الصعوبة في التمييز بين اللغة المحكية واللغة الحاكية، فحين سمعنا قول الشخصية في عمل ما، فإننا نسلم بأنه كلامها فعلا، بالرغم من أن السارد هو المتكلم، أي أن " السارد هنا لا يحكي جملة البطل، ويمكن القول بصعوبة إنه يحاكيها، إنه ينسخها من جديد، وبهذا المعنى لا يمكن الحديث عن سرد".

وعلى هذا المستوى يرى جنيت تمييزا بين خطاب هوميروس وخطاب أفلاطون في إعادة كتابة مقطع هوميروس مع غياب أقوال الشخصيات، فالأول منقولا بينما الثاني مسرودا، والثالث الذي يتوسطهما وهو غير المباشر. ولا يقف هذا التصنيف عند خطاب الشخصيات، بل يتعدى ذلك ليشمل خطابها الداخلي. يقول جنيت : "وهذا التقسيم الثلاثي ينطبق أيضا على الخطاب الداخلي كما ينطبق على الأقوال المنطوقة فعليا" 12، لهذا يميز جنيت بين

ثلاثة أنماط من الخطاب: – الخطاب المسرود وهو الذي يشكل أبعد مسافة بين الخطاب وقائله، ومن ثم بين الخطاب وأصله. فعندما يقول بطل القصة: " وأخبرت أمي عن الزواج من "ألبرتين"، فإن المسألة تتعلق بأفكاره لا بأقواله والملفوظ بإمكانه أن يكون مقتضبا وقريبا من الحدث العام الذي هو قرار الزواج.

– والخطاب المنقول: يتم فيه عرض أقوال الشخصيات بأسلوب غير مباشر من طرف السارد، ويعد هذا الخطاب هو أكثر محاكاة. والمثال هو: " أقول لأمي بأنني سأتزوج من ألبرتين" وغياب الثقة في السار د لإخفاقه في إيصال حقيقة ما تود الشخصية التفوه له هو ما يضفي عليها نوعا من التحريف والافتراء عن طريق صهرها في قالبه الخاص.

– والخطاب المعروض، وهو الأكثر محاكاة من الخطابين السابقين، ومثال ذلك " قلت لأمي: يجب مطلقا أن أتزوج من ألبرتين" . وهذا الأسلوب نجده يشبه الكيفية التي حاكى بها هوميروس خطاب الشخصية الملحمية، كما تلفظ به أول مرة. إن السارد يتعامل باحتراس شديد ليترك المجال لكلام الشخصيات موهما نفسه بتنازله الكلي عن الكلام لصالح شخصيته.